

الدِّرَاسَاتِ الْبَيْنِيَّةُ (interdisciplinary): قِرَاءَةٌ فِي الْمُصْطَلَحِ وَالْمَفْهُومِ

Interstitial studies: a reading of the term and concept

فاطمة غراب*1

لجامعة الوادي (الجزائر)، gherab-fatma@univ-eloued.dz
 مخبر الانتماء: بحوث في الأدب الجزائريّ ونقده _ جامعة الوادي

تاريخ الاستلام: 2023/05/23 تاريخ القبول: 2023/06/05 تاريخ النشر: 2023/06/22

ملخص:

تُعَدُّ الدِّرَاسَاتِ الْبَيْنِيَّةُ (interdisciplinary) مِنْ أَهَمِّ الْإِتِّجَاهَاتِ الْبَحْثِيَّةِ الْحَدِيثَةِ وَالْمَعَاصِرَةِ الَّتِي تَوَجَّهَتْ إِلَيْهَا مُخْتَلَفُ الْأَبْحَاثِ الْمَعْرِفِيَّةِ فِي النَّقَاطِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ؛ وَذَلِكَ نَظْرًا لِعَجْزِ الْمُنْظُورِ التَّخْصُّصِيِّ عَنِ حَلِّ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَشْكَلاتِ الْمَعْقَدَةِ فِي الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، وَفِي مُعَالَجَتِهَا لِلظَّوَاهِرِ الْمُخْتَلِفَةِ وَتَفْسِيرِهَا، مَا جَعَلَ الْحَاجَةَ مَاسَّةً إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِمَنَاهِجِ، وَنَظَرِيَّاتِ، وَمَفَاهِيمِ مِنَ الْحُقُولِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ لِمَحَاوَلَةِ الْإِجَابَةِ عَنِ تِلْكَ التَّسْأُولَاتِ، وَمُقَارَبَةِ الظَّوَاهِرِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ لِلْوُصُولِ إِلَى نَتَائِجٍ دَقِيقَةٍ، وَمَعْرِفَةٍ مُتْكَامِلَةٍ. وَمِنْ هُنَا ظَهَرَتْ الدِّرَاسَاتِ الْبَيْنِيَّةُ كَبَدِيلٍ مَعْرِفِيٍّ وَمَنْهَجِيٍّ، يُعْنَى بِمُعَالَجَةِ الْعَجْزِ الْمَعْرِفِيِّ وَالْمَنْهَجِيِّ، وَتَقْدِيمِ الْحُلُولِ النَّاجِعَةِ؛ وَذَلِكَ بِالإِعْتِمَادِ عَلَى مَبْدَأِ تَكَامُلِ، وَدَمْجِ التَّخْصُّصَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، فِي مُعَالَجَةِ الْمَوْضُوعِ الْوَاحِدِ، أَوْ الظَّاهِرَةِ الْمَدْرُوسَةِ. وَالْإِسْكَالِيَّةُ الَّتِي تَطْرَحُهَا هَذِهِ الدِّرَاسَةُ هِيَ: مَا الْمَقْصُودُ بِالدِّرَاسَاتِ الْبَيْنِيَّةِ؟

وَمِنْهُ، تَهْدَفُ هَذِهِ الْوَرَقَةُ الْبَحْثِيَّةُ إِلَى اسْتِجْلَاءِ مَفْهُومِ الدِّرَاسَاتِ الْبَيْنِيَّةِ؛ وَذَلِكَ بِالْوُقُوفِ عَلَى أَبْزَرِ التَّعْرِيفَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي حَاوَلَتْ مُقَارَبَةَ هَذَا الْمِصْطَلَحِ، وَتَحْدِيدِ إِطَارِهِ الْمَفَاهِيمِيِّ.

كلمات مفتاحية: الدِّرَاسَاتِ الْبَيْنِيَّةُ، الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ، التَّخْصُّصُ، الْمَعْرِفَةُ.

Abstract:

Interdisciplinary studies are considered to be one of the most important contemporary trends towards which various cognitive researches in the Western and Arab cultures have been directed. In fact, this can be related to its treatment and interpretation of various phenomena on the one hand, and the inability of the specialized perspective to solve many complex problems in scientific research on the other hand. This led to an urgent need for the use of curricula, theories and concepts from several fields of knowledge and science in order to approach the various phenomena. Additionally, it tried to answer questions, reach accurate results and integrated knowledge. Thus, interdisciplinary studies emerged as a cognitive and methodological alternative concerned with addressing cognitive, methodological deficits and providing effective solutions. This is based on the principle of integration and merging of different scientific disciplines in the treatment of the same topic or phenomenon studied. The main problem posed by this study is: What is meant by interdisciplinary studies?

Hence, this research paper aims to clarify the concept of interstitial studies by standing on some Western and Arab definitions, which tried to approach this term and define its conceptual framework, and reach an accurate definition of the term, and a clear concept.

Keywords: study interface; research; specialization; Knowledge.

1. مقدمة:

ظَهَرَتْ فِي الْأَوْنَةِ الْأَخِيرَةِ إِتْجَاهَاتٌ بَحْثِيَّةٌ جَدِيدَةٌ، تُعَدُّ بِمِثَابَةِ نَقَاطِ تَقَاطَعِ بَيْنِ تَخْصُّصَاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَرَضَهَا عَجْزُ التَّخْصُّصَاتِ الْعِلْمِيَّةِ مُنْفَرَدَةً، فِي عِلَاجِ كَثِيرٍ مِنْ الظَّوَاهِرِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، إِضَافَةً إِلَى النَّطُّورِ الْكَبِيرِ فِي مَجَالِ التَّفْكِيرِ الْعِلْمِيِّ، وَالتَّوَرِّعِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ. فَإِنَّ كَانَ الْإِتْجَاهُ نَحْوَ التَّخْصُّصِ الدَّقِيقِ هُوَ السِّمَةُ الْغَالِبَةُ عَلَى الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّفْكِيرِ الْعِلْمِيِّ، حَتَّى مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، فَإِنَّ آيَاتِ الْعَوْلَمَةِ

وتفجر الثورة المعلوماتية، قد فرضت على العالم المعاصر توجهات معرفية متنوعة، وأفكار مغايرة، ومتطورة، تؤكد على وحدة المعرفة، وتكاملها، واندماجها في إطار تداخل المفاهيم، والنظريات المختلفة؛ لمقاربة مختلف الإشكاليات البحثية (مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017 م، صفحة 05). وضرورة الاهتمام بالاندماج المعرفي والمنهجي؛ للوصول إلى نتائج علمية دقيقة، وواضحة. وقد أوجب ذلك ضرورة تطوير الأبحاث المعرفية والعلمية؛ وذلك بإحداث التداخل، والتكامل بين تخصصين معرفيين، أو أكثر، لمعالجة الإشكالية المدروسة، وهو ما يعرف بالدراسات البينية (Interdisciplinary Studies)، التي تبلورت ملامحها، منذ عشرينيات القرن العشرين، ثم أستخدم بشكل موسع في عام 1937م، وأعدت في ضوئه برامج ومقررات، تكاملت فيها فروغ المعرفة المختلفة، تم إقرارها في العديد من الجامعات البريطانية، والأمريكية، منها: الميكانيكا الحيوية، والعلوم الصحية، والطب الرياضي (جلاب، 2021م، صفحة 84).

إن حتمية اللجوء إلى هذا النوع الجديد من الاتجاهات المعرفية، تترجمه حالة التقارب في الرؤى، والأفكار، ووجهات النظر بين المفكرين في مختلف التخصصات، وتترجمه كذلك الحاجة إلى فضاء التقاء معرفي، ومنهجي بين هؤلاء الباحثين.

ومنه، تحاول هذه الدراسة استجلاء مفهوم الدراسات البينية عند بعض الباحثين والدارسين، وتسليط الضوء حولها؛ لمعرفة كنهها، وماهيتها؛ وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما المقصود بالدراسات البينية؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، إتبعنا المنهج الوصفي التحليلي؛ الذي أعتمد في وصف مختلف التعريفات الاصطلاحية المقدمة حول (الدراسات البينية)، ثم قمنا بتحليلها؛ للاقتراب أكثر من ماهية الدراسات البينية، وتأطير جهازها المفاهيمي .

وتأسست هذه الدراسة على محاور رئيسة، يمكن تفصيلها فيما يلي:

2. مفهوم الدراسات البينية:

1.2 البينية لغة:

البينية كلمة مشتقة من الجذر الثلاثي (ب. ي. ن)، الذي ورد في العديد من المعاجم اللغوية (العربية والغربية) القديمة والحديثة، يحمل عدة معانٍ، حيث جاء في (لسان العرب) لابن منظور (ت 711هـ)، تحت مادة (بين): "... البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة، ويكون الوصل..." (ابن منظور، د ت، صفحة

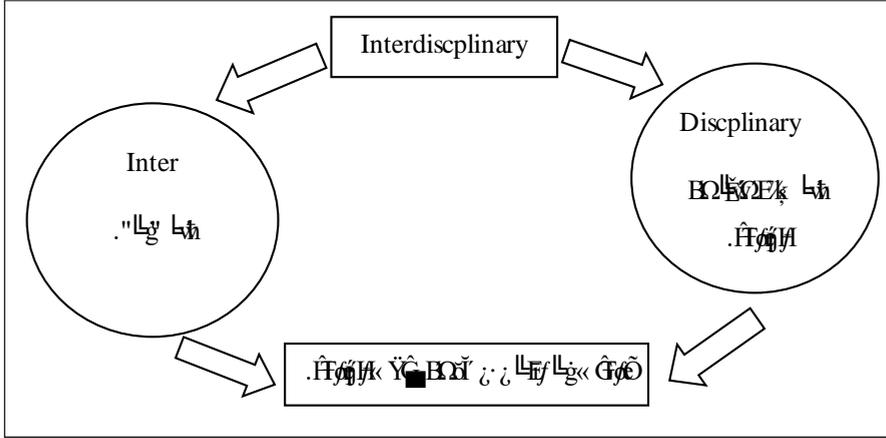
(403). وورد في (المعجم الوسيط): " ... (البين): الفُرْقَةُ، وَذَاتُ الْبَيْنِ: مَا بَيْنَ الْقَوْمِ مِنَ الْقَرَابَةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْمَوَدَّةِ، أَوْ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ..." (مجمع اللغة العربية، 2004م، صفحة 80). هذا فيما يخص المعاجم العربية. أما المعاجم والقواميس الأجنبية، فقد حُدِّثَتِ الكلمة الإنجليزية (Interdisciplinary) في معجم كامبردج بأنَّها: "الجمعُ أو الربطُ بين اثنين أو أكثر من مجالات المعرفة" (مكّافي، 2021م، صفحة 272). وفي اللُّغة الفرنسيَّة، لا يقدِّم معجم لاروس للبينية (Interdisciplinarité) كمجالٍ معرفيٍّ تعريفياً خاصاً بها، بل يقتصرُ على إيرادِ اشتقاقِ الصِّفةِ منها، وتقديمها على أنَّها تُطلقُ على مَنْ يُوَلِّفُ بَيْنَ مجموعةٍ مِنَ التَّخَصُّصَاتِ، أو العلومِ (حساني، المقاربة البينية وتعليمية المعارف الإنسانية، حفل تعليمية اللغات أنموذجاً، 2019م، صفحة 90). يتَّضحُ مِنَ التَّعَرِيفَاتِ المعجميةِ السَّابِقَةِ أَنَّ (البينية) تحملُ معنى: القرابة، والصِّلَةِ، وهذا المعنى هُوَ أَقْرَبُ المعاني اللُّغويَّةِ دلالةً من المعنى الاصطلاحِيَّ للبينية؛ التي تعني إقامة الصِّلَةِ، وإحداثِ التَّقَارُبِ المعرفيِّ والمنهجيِّ بينَ حقلينِ معرفيينِ أو أكثر؛ للإجابةِ عَنِ التَّساوُلَاتِ الإشكاليَّةِ، المتعلقةِ بالظاهرةِ المدروسة.

2.2 البينية اصطلاحاً:

تعددت التَّعَرِيفَاتُ الاصطلاحيةُ لمصطلح (البينية) (Interdisciplinarity) وتتنوعتُ في الدِّراساتِ الغربيَّةِ والعربيَّةِ الحديثةِ والمعاصرة؛ وذلكَ نظراً لأهميةِ هذا الاتِّجاهِ البحثيِّ، في معالجةِ الإشكاليَّاتِ البحثيةِ الواسعةِ، والمعقدة؛ ونظراً لهذه الأهميةِ، قامَ ثلَّةٌ مِنَ الدَّارسينَ والباحثينَ بتقديمِ جُملةٍ مِنَ التَّعَرِيفَاتِ الاصطلاحيةِ، التي اِهْتَمَّتْ بتوضيحِ ماهيةِ (الدِّراساتِ البينية)، والتَّمييزِ بينها، وبينَ مختلفِ الاتِّجاهاتِ البحثيةِ، التي سادتُ قبلها.

مِنَ ذلكَ، أشارَ «أحمد حساني» إلى أَنَّ كلمةَ البينية (Interdisciplinarity) تتكوَّنُ مِنْ مقطعينِ أساسيينَ: السَّابِقَةِ (Inter) التي تعني في اللُّغة اللاتينية: بَيْنَ، والأصل (disciplin) الذي يعني فرعاً من المعرفة (Branche de la connaissance)، أو مادةً تعليميةً، أو حقلاً تخصصياً مُعيَّناً؛ حيثُ يدلُّ هذا المصطلح في التَّقافةِ الإنسانيةِ المعاصرةِ على التَّداخلِ، أو التَّكاملِ، أو التَّقاطعِ بينَ المعارفِ والعلومِ على مستوى التَّأطيرِ المرجعيِّ، والإجراءِ التَّطبيقيِّ (حساني، المقاربة البينية وتعليمية المعارف الإنسانية، 2019م، صفحة 90).

ويمكن التمثيل لذلك بالرسم البياني الآتي (مفتاح ، الدراسات البيئية بين العلوم الشرعية والإنسانية، صفحة 07):



وكلّ مصطلح جديد، لم يتفق الدارسون على تعريف البيئية، وحدودها ومجالاتها، ولم تُنتج دراساتهم ما يكفي من الأعمال، التي تهتمّ بالمصطلح، والتي يمكن أن يطمئن إليها أهل التخصص، فيما يُعرف اليوم بالعلوم البيئية فالبيئية في الفكر العلمي الحديث موضوع خلافٍ، ومجالٌ من المجالات المؤثرة في تاريخ الأفكار، ومدخلٌ من المداخل المهمة إلى تصنيف العلوم، والمعارف، وربطها بالفكر العلمي. وقد صدرت منذ عقود، عدّة دراساتٍ مسحية، لتوثيق المرجعيّات النظرية، التي تُعرّف البيئية، ومجال موضوعها، وتؤرّخها.

فمن التعريفات الأولى – وقد جاء في عمل أنجزه ميشال نيساني (Michel Nisani – أنها: "عملية تفاعل، وتبادل للمعارف بين تخصصاتٍ مختلفة، وهو تبادلٌ قد يفضي إلى أن تتكامل التخصصات المتداخلة، فتكوّن تخصصاً جديداً. والبيئية هي تضايقت يحدث بين مكونين أو أكثر، يكون كلٌّ مكوّن منها مُنتمياً إلى علمٍ من العلوم، أو تخصصٍ من التخصصات" (بن الهادي رمضان، 1437هـ، صفحة 15، 16).

كما تعني أيضاً مجالاً دراسياً مُعيّناً، أو عملية ربطٍ وحوارٍ (Dialogue) بين علمين، أو حقلين من حقول المعرفة، كما يقول (ألن ريكو) Alan Rabko؛ وهو من أهمّ من كتب في موضوع بيئية التخصصات المعرفية.

ومن هذا المنطلق، فقد تمّ تعريف الدراسات البيئية، من قبل كلاين (1998) Klein ووليم (2001) William على أنها: "دراساتٌ تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة أو العملية التي يتمّ بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة، أو حلّ بعض

المشاكل، أو معالجة موضوع واسع جداً، أو معقّد جداً، يصعب التّعامل معه بشكلٍ كافٍ، عن طريق نظامٍ، أو تخصّصٍ واحدٍ (مفتاح، الدّراسات البيئية بين العلوم الشرعيّة والإنسانيّة، صفحة 06).

ولعلّ العنصر المميّز في هذا التّحديد هو أنّه يشير إلى سمتين جوهريّتين، تتعلّقان بطبيعة الموضوعات التي تستدعي أعمال المنهج البيئي، وهما السّمتان المتمثّلتان في "السّعة" و"التّعقّد"؛ فالموضوعات الواسعة لا يكفيها منهجٌ معرفيٌّ واحدٌ لمعالجتها، والإحاطة بها، كما أنّ الإشكاليّات المعقّدة تستلزم أيضاً منهجاً متراكباً لفكّ تعقيداتها (بن يوسف، 1439هـ، صفحة 103).

فالدّراسات البيئية، إذن، هي: "منهجٌ يساهم في تبادل الخبرات البحثيّة، والاستفادة من الخلفيّات الفكرية، والمناهج البحثيّة المختلفة بين الباحثين، وإدماجها في إطار مفاهيميٍّ ومنهجيٍّ شاملٍ؛ يساعد على توسيع إطار دراسة الظواهر والمشكلات، وتقديم فهمٍ أفضلٍ لها، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى الخروج بنتائج دقيقة، وتقديم حلول نافعة، قابلة للتّطبيق" (مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعيّة ودراسات المرأة، صفحة 06).

وهذا يعني، إنّ الدّراسات البيئية هي نتاج تفاعل المعارف، والمناهج، والنّظريّات المعرفيّة المختلفة في معالجة الإشكاليّة المطروحة، أو الظاهرة المدروسة. ويمكن القول بأنّ الاهتمام الرّئيس بالبحوث البيئية يدور حول التّكامل (Intégration) بين العلوم والمعارف؛ فالتّكامل يعني حرفياً العمل معاً. وفي سياق الدّراسات والبحوث البيئية، فإنّ التّكامل بمثابة عمليّة معرفيّة ومنهجية، يمكن من خلالها الرّبط بين علمين أو أكثر؛ من خلال الاستفادة من النّظريّات، والأفكار، والمعطيات، والمعلومات، والمفاهيم، والمناهج، والأدوات داخل كلّ علمٍ من العلوم، التي يُستعان بها في الدّراسة (هاني خميس، البحوث البيئية وتقدّم المجتمعات الإنسانيّة خلال الألفية الجديدة: تجارب عمليّة وخيارات مستقبلية، 2016م، صفحة 157).

وفي سياق متّصل، عرّف مؤتمر المعلوماتيّة وقضايا التّنمية العربيّة التّخصّصات البيئية على أنّها: "نوعٌ من التّخصّصات الناتجة عن حُدوث تفاعلٍ بين تخصّصين، أو أكثر مرتبطين أو غير مرتبطين، أو أنّها العلوم والدّراسات التي تبحث في إدراك العلاقات بين فروع العلم، والمعرفة، على أساس مبدأ وحدة العلوم وتكاملها؛

للوصول إلى مفاهيم مشتركة بين مختلف العلوم، والتخصّصات" (غانم، 2016م، صفحة 541).

وتشير الباحثة «أمنة بلعلی» إلى أن الدّراسات البيئية، تهتمّ بالبحث عن "الآليات التي يمكنها أن تُعطي تفسيراً واقعيّاً للظواهر، وتقريب المعارف والعلوم من أجل ذلك، لقد رفضت سياسة الاكتفاء بالمنهج الواحد، والتخصّص الواحد، وعملت على لم شمل الباحثين، بإنشاء مراكز بحث، وفرق، تُقدّم مقاربات لإثراء البحث، وتطويره، حول قضية مُعيّنة أو ظاهرة لم تستوفها الدّراسات السّابقة، أو لم تستطع بعض الخيارات العلمية الإجابة عنها" (بلعلی، 2017م، صفحة 273).

وفي هذا الصّدّد، يُعرّف الباحث «محمّد صالحين» (الدّراسات البيئية) بأنّها: "بحوثٌ علميةٌ مُعمّقة، لا يقتنع أصحابها بالاكتفاء بالتخصّص الدقيق منفرداً، بل يتوخّون الكشف عن مناطق الخوم: (التّجاور، التّلاقى، التّقاطع، التّشابك، التّقارب) بين العلوم، وهي دراساتٌ تجمع بين النّظرة التّخصّصية الدّقيقة، والنّظرة الموسوعيّة الشّاملة، وتؤمن بالتّكامل المعرفي بين كافة العلوم، وترى أن التّكامل بات ضرورةً من ضرورات المنهج العلميّ النّافع، في هذا العصر" (صالحين).

فالبيئية عمليةٌ بحثيةٌ، تقوم على الجمع بين كفاءات، أو أفكار آتية من ميادين علمية أو فكرية مختلفة؛ لتحقيق هدفٍ مشترك، وذلك بالتّوسّل بمقاربات مختلفة، لمواجهة مسألة بذاتها، أو مشكلٍ بذاته" (جهاد حسن، 2013م، صفحة 241). حيث تعتمد البحوث البيئية على التفاعل المعرفي والمنهجي بين الحقول، والتخصّصات العلمية المختلفة؛ لمعالجة الظاهرة، أو الإشكالية المطروحة، ليس هدفاً في حدّ ذاته، بل هو وسيلة لدعم جهودٍ بحثيةٍ لمواجهة مشكلاتٍ مجتمعية، وتعزيز بيئة تنافسية، يمكن من خلالها الحصول على المعرفة، ويحدث ذلك من خلال تكامل المعرفة، أو صياغة مجالاتٍ بحثيةٍ جديدة، تعتمد على تكامل المعرفة من ميادين مختلفة (هاني خميس، البحوث البيئية وتقدّم المجتمعات الإنسانية من خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية، 2016م، صفحة 156).

ومنهُ، تعدّ الدّراسات البيئية من أبرز المستجدات المعرفية والمنهجية، التي تحيل على علاقة التّكامل المعرفي والمنهجي بين حقلين أو أكثر من الحقول المعرفية، فهي نوعٌ من التّعاون المتبادل بين التّخصّصات المختلفة، أمام المشكلات المعقدة، التي

يتطلب حلها شيئاً من الاندماج المعرفي، والتداخل المنهجي (الزريقي، 2021م، صفحة 186).

كما أورد الباحث «أحمد حسّاني» جملةً من التّعريفات والحدود، التي شاعت بين الدارسين المنشغلين بتأسيس مفهوم البيئية، وذلك في بحثه الموسوم بـ: (المقاربة البيئية وتعليمية المعارف الإنسانية، حقل تعليمية اللغات أنموذجاً).
فالبيئية، إذن، هي:

ـ حالة توازن كلي بين تأثير المعارف بعضها في بعض.
ـ تعاون وتنسيق بين الاختصاصات المختلفة للوصول إلى تصوّر شموليّ موحد للمعرفة.

ـ تواصل عميق لتجاوز الحدود الوهمية بين المعارف والعلوم.
ـ استخدام أدوات منهجية لحقل معرفي معيّن في مقارنة معارف أخرى .
ـ الانطلاق من مشروع علمي أو إشكالية منهجية، من أجل معرفة التفاعل بين العلوم، وتعزيز التقاطع المعرفي والمنهجي العميق، للوصول إلى إحتواء المعرفة بنظرة كلية شمولية (حساني، المقاربة البيئية وتعليمية المعارف الإنسانية، حقل تعليمية اللغات أنموذجاً، 2019م، صفحة 103، 104).

لذلك، فإنّ الدراسات البيئية، لا تعدو أن تكون _ في جوهرها _ مقاربات متعدّدة لموضوع واحد من أجل هدف مشترك بين التخصصات (تعميق مقاربات بيئية لموضوع واحد)، وهي إذ ذلك تتركز على تجميع عناصر معرفية ومنهجية معينة، تنتمي إلى تخصصات مختلفة، من أجل إنتاج معرفة جديدة. فهي في الواقع فنّ العمل الجماعي (تخصصات متعدّدة _ موضوع واحد _ هدف محدد _ نتائج مشتركة) (حساني، المقاربة البيئية وتعليمية المعارف الإنسانية، حقل تعليمية اللغات أنموذجاً، 2019م، صفحة 107).

ومنه، يتضح، إنّ "البيئية _ من المنظور الإستمولوجي _ هي: شراكة فعلية بين العلوم والمعارف المختلفة، التي تسهم في تعميق التقاطع، وتأكيد العلاقات، والروابط المعرفية والمنهجية للعلوم، على اختلاف الحقول التي تنتمي إليها، وتنشأ عن هذا التلاقي معارف جديدة" (حساني، المقاربة البيئية وتعليمية المعارف الإنسانية، حقل تعليمية اللغات أنموذجاً، 2019م، صفحة 107).

والحقيقة، إنَّ هذه التَّعالقات التي تنتجُ مجالاتٍ بيئيةً، ليستُ حِكراً على تخصصاتٍ بعينها، كما أنَّها لا تحدثُ فيما بينَ العلومِ الدَّقِيقَةِ فقط، أو فيما بينَ العلومِ الإنسانيَّةِ، كما هُوَ الأمرُ بالنِّسبةِ لِلسانيَّاتِ الحاسوبيَّةِ، التي نتجتُ عَنْ تقاطعِ منهجِيَّيْنِ بينَ اللسانيَّاتِ، والحاسوبيَّاتِ. وهُوَ مَا يُوَكِّدُ أَنَّ الحاجةَ التَّداوليَّةَ هِيَ التي تفرِّضُ نوعَ هَذَا التَّزاوِجِ بينَ العلومِ؛ فإذا تيقَّنَ الباحثونَ أَنَّ بعضَ أدواتِ، ومفاتيحِ الحلِّ في مجالهمُ المعرفيِّ موجودةٌ في مجالٍ معرفيٍّ آخر، مهما كانت طبيعتهُ، فمن الطبيعيِّ أَنْ يتوجَّهوا للاستفادةِ مِنْ هذا المجالِ الثَّاني، وهو ما ينجُرُّ عنه فيما بعد قطعُ معرفيٍّ، ذُو منبِتٍ مزجيٍّ (بن يوسف، 1439هـ، صفحة 104، 105).

والملاحظُ ممَّا تقدَّم مِنْ تعريفاتٍ حولَ (الدِّراساتِ البيئيةِ) أَنَّ هناكَ اتِّفاقاً في بعضِ العناصرِ الرئيِّسةِ المتعلِّقةِ بالمجالِ المفهوميِّ لهذا المصطلحِ، وهي تتلخَّصُ فيما يلي:

- ✓ إنَّ الدِّراساتِ البيئيةَ تركزُ، تحديداً، على المشكلاتِ أو الأسئلةِ المعقَّدة جدًّا، التي لا يمكنُ لتخصصٍ معرفيٍّ، أو اتِّجاهٍ فكريٍّ واحدٍ مِنْ تقديمِ حُلُولٍ لها، وَمِنْ ثَمَّ يقدِّمُ أفكاراً ابتكاريَّةً، يضعها في فكرةٍ جامعةٍ، ومعرفةٍ متكاملةٍ.
- ✓ تتأسَّسُ الدِّراساتُ البيئيةُ عَلَى الاستفادةِ مِنْ الرُّؤىِ المعرفيَّةِ المختلفةِ مِنْ البحوثِ المتخصِّصةِ لمعالجةِ الإشكاليَّاتِ المعقَّدة، وتعميقِ الفهمِ للظَّاهرةِ المدروسةِ.
- ✓ الدِّراساتُ البيئيةُ تقومُ بتقييمِ نتائجِ البحوثِ المتخصِّصةِ، والاستفادةِ ممَّا أسفرتُ عنه مِنْ مبادئٍ، وآلياتٍ، ومفاهيمٍ، ونظرياتٍ، تخدمُ الإشكاليَّةَ المطروحةَ.
- ✓ تستفيدُ الدِّراساتُ البيئيةُ مِنْ النَّظريَّاتِ المختلفةِ للعلومِ المتخصِّصةِ المتنوّعةِ.
- ✓ تهتمُّ الدِّراساتُ البيئيةُ بدمجِ التَّخصُّصاتِ المعرفيَّةِ المختلفةِ، بطريقةٍ منضبطةٍ، لتكوِّنَ علوماً جديدةً أكثرَ شموليَّةً، وتكامليَّةً، وغالباً ما تكونُ أكثرَ دقَّةً (غانم، 2016م، صفحة 541).

3. أنواع التَّدَاخُلِ فِي الدِّراساتِ البيئيةِ:

تُعَدُّ الدِّراساتُ البيئيةُ نوعاً مِنْ الحقولِ المعرفيَّةِ الجديدةِ، النَّاشئةُ مِنْ تداخُلِ حقلينِ معرفيَّينِ أو أكثرَ لمعالجةِ الإشكاليَّةِ المطروحةِ، أو الظَّاهرةِ المدروسةِ. ويكونُ هَذَا التَّدَاخُلُ عَادَةً وَفَقَ منهجيينِ:

1.3 **تداخل بيئي ضيق:** ويكون بين الحقول المعرفية المتقاربة، كحقل العلوم (الفيزياء، والكيمياء والبيولوجيا...)، أو العلوم الاجتماعية (كعلم النفس، و علم الاجتماع، و علم الإنسان)، أو العلوم الإنسانية (الأدب، والفنون، والتاريخ، والفلسفة).

2.3 **تداخل بيئي واسع:** وهذا النوع من التداخل يكون أكثر تعقيداً؛ إذ تتداخل فيه اختصاصات لم يكن من السهل تلاقحها قبل البيئية، من ذلك السبق المعرفي الذي توج به جون بروكمان (Brokman) ملحمة التحوار بين العلم والأدب بكتاب بيئي غاية في الأهمية، سمّاه (الثقافة الثالثة) (خميس، 2021م، صفحة 246). وهذا يعني أن الدراسات البيئية تتأسس على إقامة "التعاون بين التخصصات المختلفة، أمام المشكلات، التي منها التعقيد، والتي تُحلُّ فقط بالتضافر، والتوليف الحصيف بين وجهات نظرٍ مختلفة" (بن يوسف، 1439هـ، صفحة 103). ويرى «سعد البازعي» أن الدراسات البيئية "ما هي إلا العلوم المستقلة وقد اقتربت من بعضها بعضاً، وتمازجت، لكنّها لم تفقد من ضوابطها العلمية، ومقتضياتها البحثية، إلا ما يقتضيه الامتزاج، من تصوّراتٍ مبتكرةٍ لأوضاعٍ استجدت للتقارب المشار إليه" (البازعي، 1434هـ، صفحة 228).

4. دلالات مصطلح البينية:

ويمكن تلخيص أبرز الدلالات التي يحيل إليها مصطلح البينية

(Interdisciplinarity) في النقاط الآتية:

أ. **دلالة تعدد المعارف (Plurisciplinarité):** يحيل هذا المصطلح إلى دلالة إشتراك أكثر من تخصص في معالجة الموضوع نفسه (مكاكي، 2021م، صفحة 275). وهذا يعني "تكريس أكثر من حقل معرفي لخدمة موضوع، أو قضية معينة، مع احتفاظ كل حقل بخصوصيته المنهجية، ومنظومته المصطلحية، بهدف تقريب وجهات النظر، والخروج بتصوّر اندماجي للمعرفة العلمية" (الزريقي، 2021م، صفحة 187).

ب. **دلالة العبور (Transdisciplinarité):** يُطلق هذا المصطلح كوصف للمعرفة المتنقلة بين تخصصات متنوعة، أو العابرة للحدود بين التخصصات المعرفية المختلفة والمتنوعة (مكاكي، 2021م، صفحة 276).

ج. **دلالة التشابك والتداخل (Multidisciplinarité):** تحيل دلالة هذا المصطلح إلى مفهوم تحليلي، يقوم بعملية ضبط معارف كثيرة ومتنوعة، ثم الربط بينها، واستعمالها بشكل متوازن، من غير أن تكون علاقات سابقة بينها (مكاكي، 2021م، صفحة 276).

4. خاتمة:

توصّلت هذه الدراسة إلى أن الدراسات البينية تعدّ من أبرز الخيارات البحثية والمنهجية، التي عرفها الفكر الغربي والعربي الحديث والمعاصر، وذلك بعد عجز التخصص المعرفي الواحد، عن تقديم أجوبة مقنعة عن كثير من التساؤلات الإشكالية المختلفة، التي تطرحها الظواهر العلمية والمعرفية المعقدة. فمن منظور فلسفة العلم، جاء الاتجاه البحثي البيني ليقدم نموذجاً معرفياً ومنهجياً، يقوم مقام النموذج العقلاني الاختزالي التبسيطي (التخصص العلمي)؛ وذلك باستعانة الباحث بأدوات معرفية من حقلٍ أخرى، قصد حلّ الإشكالات البحثية المعقدة في حقله.

وتأسيساً على ما سبق ذكره، يمكن إيجاز النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة،

في النقاط الآتية:

- تمثّل الدراسات البينية (Interdisciplinarity) مرحلة بحثية مهمة من مراحل تطوّر العلم، تلت مرحلتَي الموسوعية الشاملة، والتخصص العلمي

الدقيق، وهي أبحاث معرفية، تجمع بين تخصصين، أو أكثر لحلّ المشاكل البحثية، أو تفسير الظواهر المختلفة، عن طريق التكامّل المعرفي بين هذه التخصصات؛ للوصول إلى فهم أعمق للقضايا، والإشكاليات المختلفة، التي يطرحها حقل معرفي معيّن.

- الدراسات البيئية حاجة معرفية، ومنهجية ملحة، فرضها عجز التوجّه التخصصي في البحث العلمي، عن حلّ مختلف المشكلات البحثية المعقدة، التي تتطلب الاستعانة بمناهج، وآليات، ومفاهيم الحقول المعرفية الأخرى؛ لمقاربتها، ومعالجتها.
- تركز الدراسات البيئية على مبدأ دمج المعارف (النظريات، والأفكار، والمعطيات والمعلومات، والمفاهيم)، والتكامل المنهجي بين حقلين معرفيين أو أكثر، لحلّ المشكلات البحثية العالقة ومقاربة الظواهر المختلفة، في الحقل المعرفي الواحد.

5. الاقتراحات والتوصيات:

1. ضرورة تفعيل منهج الدراسات البيئية في الأبحاث الإنسانية، والاجتماعية، والطبيعية، في مختلف المؤسسات الجامعية، ومخابر البحث العلمي، وإنشاء لجان علمية خاصة، تتابع العملية البحثية البيئية، وذلك بغية تطوير التخصصات العلمية، والمعرفية، وإنتاج مجالات معرفية بيئية جديدة، تُعنى بمعالجة الإشكاليات البحثية العالقة، والمعقدة في الأبحاث العلمية.
2. ضرورة الاستفادة من التجارب الأوروبية، والأمريكية الناجحة في تطبيق برامج الدراسات البيئية على مستوى المؤسسات التعليمية، وذلك للارتقاء بالمستوى التعليمي للطلاب، وتعزيز الكفاءات المعرفية، والمنهجية التشاركية لديهم، واستثمارها في تطوير التفكير العلمي، والمعرفي.
3. ضرورة الاهتمام بالدراسات البيئية في المؤسسات الجامعية، ومراكز البحوث العلمية؛ وذلك بعقد مؤتمرات، وملتقيات، وندوات وطنية ودولية، تُسلط الضوء على أهمية هذا المنحى البحثي الجديد، وتُشجّع الباحثين على إنجاز بحوث بيئية، تكشف التعلقات المعرفية بين الحقول العلمية المختلفة؛ وذلك قصد التوصل إلى نتائج دقيقة، وإثراء وتطوير البحث في هذا المجال خاصة، والبحث العلمي عامة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد عبده خميس، هاني، (2016م)، البحوث البيئية وتقدّم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، سلطنة عمان، المجلد 07، (العدد 03).
- البازعي، سعد بن عبد الرحمن، (2017م)، الدراسات البيئية وتحديات الابتكار، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد 25، (العدد 02).
- بلعلي، أمّنة، (أفريل 2017م)، الدراسات البيئية وإشكالية المصطلح العابر للتخصّصات، سياقات اللغة والدراسات البيئية، المجلد 02، (العدد 05).
- بن الهادي رمضان، صالح، (1437هـ). التفكير البيئي: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها.
- جلاّب، سلمى، (مارس، 2021م)، إبستمولوجيا الخطاب ضمن المقاربة البيئية رؤية في المفاهيم والعلاقات، مجلة (لغة _ كلام)، المركز الجامعي أحمد زبانه، غليزان، المجلد 07، (العدد 02).
- جهاد حسن، كاظم، (2013م)، في البيئية، نشأتها ودلالاتها، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد 25.
- حساني، أحمد، (جوان، 2019م)، المقاربة البيئية وتعليمية المعارف الإنسانية، حفل تعليمية اللغات أنموذجاً. المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، العدد 01.
- خميس، نادية، (2021م)، الدراسات البيئية: نحو إستراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، باتنة، المجلد 14، (العدد 02).
- صالحين، محمد، (2021م)، الدراسات البيئية تفتح آفاقاً جديدة في البحث العلمي، <https://islamonline.net>
- غانم، إسلام عبد الله عبد الغني، (2016م)، مستقبل الدراسات البيئية في العلوم الإنسانية: (علم الأنثروبولوجيا) نموذجاً، مستقبل الدراسات البيئية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حلوان.
- لزرقي، ياقوتة، (2021م)، البراغمية وعلاقتها بالحقول اللسانية _ مقارنة بينية _ ، مجلة أمارات في اللغة والأدب والتّقد، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشّلف، المجلد 05، (العدد 02).
- مجمع اللغة العربية، (2004م)، المعجم الوسيط (المجلد 4)، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، (2017 م)،
الدراسات البيئية.

مفتاح، خالد محمد، (بلا تاريخ)، الدراسات البيئية بين العلوم الشرعية والإنسانية.
مكاكي، محمّد، (ديسمبر، 2021م)، الدراسات البيئية: المفهوم والأصول المعرفية،
جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي، الثلث، المجلد 07، (العدد 05).

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، (دت)، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف.
بن الهادي رمضان، صالح، (1437هـ)، التفكير البيئي: أسسه النظرية وأثره في دراسة
اللغة العربية وآدابها.

بن يوسف، حميدي، (1439هـ)، نحو معجم لسان عربي مبني وفق منهج بيئي، اللغة
العربية والدراسات البيئية الآفاق المعرفية والرّهانات المجتمعية، الرياض: مكتبة
الملك فهد الوطنية.